

# الخليج

ثقافة, قراءات في كتب

7 مايو 2022 22:22 مساء

## جاك بريفيير..الشاعر ابن الشارع





## القاهرة: الخليج

يقول الشاعر العراقي سامي مهدي، في صدر ترجمته لمختارات شعرية لجاك بريفيير (4 فبراير 1900 – 11 إبريل 1977)، بعنوان «الصراع مع الملاك»: «تبدو ترجمة بريفيير عملية سهلة، ذلك أن بساطته توحى بذلك، فتغري وتورط، اكتشفت هذا في بعض ما قرأت من نصوصه المترجمة إلى اللغة العربية، وتأكد لدي هذا الاكتشاف حين عدت إلى أوائل ما ترجمته، فبريفيير ليس سهلاً تماماً، وسهولته الظاهرة أشبه بمصائد المغفلين، إنها غطاء يخفي عمقاً، يضم في «طياته لقي ثمينة حيناً، وكنوزاً باذخة حيناً آخر

يتحدث سامي مهدي عن مشكلات واجهته وهو يترجم جاك بريفيير، فقد كان يلاحظ تشتتاً واضطرابات تضيّع على القارئ فرصة الوصول إلى مخابئ بريفيير، فهي ترجمات حرفية مفككة، لم يطوع فيها النص المترجم لخصائص البنية اللغوية العربية، فكانت حصيلتها النهائية نثرًا مضطرباً، لا يصل بقارئه إلى الأغوار المشعة

وتعمد سامي مهدي أن يختار نماذج من قصائد بريفيير القصيرة وأخرى من قصائده متوسطة الطول، لينفي خطأ شائعاً مفاده أن بريفيير شاعر قصيدة قصيرة، وسعى مهدي لترجمة قصيدته «عشاء رؤوس»، لكنه وجدها متعذرة، لأنها مثقلة باللعب اللغوية التي لا تؤدي مفعولها إلا في لغتها الأصلية، كما أنه تجنب ترجمة كل ما هو مثقل باللعب اللغوية من القصائد.

كان والد جاك بريفيير يعمل في شركة تأمين بباريسية، لكنه لم يكن يحب عمله، كان يحلم بأن يكون ممثلاً، لكنه مارس النقد المسرحي من حين لآخر، وكتب رواية بعنوان «قطة المنزل التي كان اسمها لوبيه»، وكان جاك بريفيير عمل في مهن عدة، لأنه لم ينل حظاً وافراً من التعليم، لكنه كان منذ صباه المبكر، يكثر من القراءة، وكان له ولع خاص ب«ألف ليلة وليلة».

في عامه العشرين التحق جاك بريفير بالخدمة العسكرية، وأرسل إلى سوريا، وفي طريقه إليها مر بالقسطنطينية، فتعرف إلى الرسام «إيف تانفي» ومؤلف الكتب البوليسية «مارسيل دو هاميل» وفي عام 1923 استأجر دو هاميل حانوتاً قديماً لأحد باعة جلود الأرانب وشقة صغيرة كائنة فوقه، استضاف فيها صديقيه بريفير وتانفي، وبعد عامين من هذا التاريخ بدأ السورياليون يرتادون الشقة ويقيمون فيها حوارات، «كان لقاء أناس بدون موعد»، كما يقول بريفير، الذي وقع نصوصاً جماعية أصدرتها الجماعة السوريالية، ثم لم تلبث أن طردته بعد عام، كان ذلك عام 1928 بسبب طرفه أطلقها، واعتبرها أندريه بريتون قليلة الذوق، يقول بريفير: «أنا وبريتون على خصومة لأنه يحمل فكرة مضحكة عن «حرية الآخرين».

أحب بريفير المسرح، وقد مثلت له عدة اسكتشات مسرحية عامي 1932 و1933 غير أن حبه للسينما كان أقوى، ففي عام 1923 مثل في فيلم «الكبار» لهنري فيكسور، وفي عام 1928 تعاون في صناعة فيلم موله صديقه دو هاميل، لكنه توغل في عالم السينما ابتداء من عام 1932 وأخذ يكتب السيناريوهات بعد ذلك

يقول «غايتان بيكون» في كتابه «الأدب الفرنسي الجديد»: «إن جاك بريفير هو الشاعر الأصيل الوحيد الذي استطاع اليوم أن يتخطى حدود قرائه بالغاً قلب الشعب»، وهذه شهادة يوافق عليها كل من كتب عن بريفير، ذلك أن شعره بسيط، لا تعقيد في شكله، ولا اكتراث في لغته، ولا تبجح في همومه، ويقول لورنس فرلنفتي إنه «يكتب كما يتكلم المرء وهو سائر»، وكان لصيقاً بالحياة في هدوتها وبهجتها، وصخبها وعنفها، وشقائها وبؤسها، وجمالها ونضارتها، وكانت عيناه دقيقتي الملاحظة، كان يرى كل شيء، ويحس بكل شيء، وكان ينتبه إلى كل حركة في الشارع، وكثيراً ما جعل من مشاهدته قصائد رائعة، ولذلك وصف بأنه ابن الشارع الفرنسي، ابن الشارع الباريسي تحديداً

وعلى الرغم من أن شعره لم يكن معنياً بقضايا الوجود الكبرى، لكنه لم يكن يغفلها، كان يأتيها من أبسط مداخلها، من الحياة اليومية، وهو بناء على ذلك، لا يتأمل نيابة عن قارئه، بل يقود قارئه إلى التأمل بنفسه، يمنحه لذة الاكتشاف وبهجة الدهشة وشرارة التخيل